مُقوّماتُ تَقبّل الذاتِ في الفقهِ الإسلاميّ

رجا غازي رجا العمرات[١] ومحمد غازي رجا العمرات[٢]
قسم الدراسات الإسلاميّة، جامعة اليرموك، الأردن[١]
كليّة العلوم التربويّة، جامعة جدارا، الأردن[٢]

المُلخّص

تهدفُ الدراسةُ الحاليّةُ من جهة المنهجيّة العلميّة إلى الإجابة عنْ سؤالها الرئيس الآتي: ما مُقوّماتُ تقبّل الذاتِ في الفقهِ الإسلاميّ؟، وأجابت مباحث الدراسة الستة عنْ هذا السؤال المنهجي مُبيّنةً أنّ الشخصيّة تلبي حاجتها لتقبّل الذات؛ باكتسابها وتفعيلها لمجموعة من مقوّمات السلوك يتمثل بعضها؛ بالاستثمار الحسن للقدرات والإمكانات الفرديّة، والتشاركيّة العمليّة وتكامل الأدوار البنائيّة والدفاعيّة، وتفعيل نظام الصداقة وتنميتها، والتعبير الانفعالي السليم، والاستقلاليّة والاعتماد على الذات، والتحرر منْ عقدة الذنب والمخاوف الكبرى؛ فالتفعيل المهتدي الطَردي لهذه المقوّمات وفق مُراد الأدلّة التفصيليّة؛ يجعل الشخصيّة تدركُ قيمة ذاتها كياناً ودوراً.

الكلمات المفتاحية: تقبّل الذات، استثمار القدرات، التشاركيّة، التعبيرات الانفعاليّة، الاعتمادُ على الذاتِ.

مُقدّمة

الحمدُ لله مبتدأً وخبراً والصلاة والسلام على سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلّم، أمّا بعد،،،

ترتبط الأنماط السلوكيّة الصادرة عن الشخصيّة ارتباطاً طرديّاً وعكسيّاً بدرجة تقبّل الشخصيّة لذاتها تقبلاً مرتفعاً أو منخفضاً، فالأنماط السلوكيّة الايجابيّة استناداً إلى النص المؤسس تصدر عن شخصيّة درجة تقبّلها لذاتها مرتفعة، بينما الأنماط السلوكية السلبية استناداً إلى نفس النص لمؤسس تصدر عن شخصية درجة تقبلها لذاتها منخفضة، قال تعالى ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾[المائدة: ٢٧]، فالشخصيّة التي يقبلها الله تعالى ويتقبّل منها هي شخصية التقوى التي تقبل ذاتها بدرجة تقبلها للنص المؤسس تقبّلاً اعتقاديّاً وعمليّاً باطناً وظاهراً؛ يُورثها الطمأنينة والاستقرار والاستقلاليّة والثقة بالطاقات والقدرات والإمكانات وحسن توجيهها بكفاءة وجدارة، ويورثها كذلك القدرة على الوقوف بوجه التحديات بكل مسؤولية، وعلى التحكّم الايجابي بالانفعالات وتوجيهها الوجهة السليمة، وعلى التفاعل الاجتماعي الايجابي مع كل الحلقات الاجتماعيّة. بينما الشخصية المتنافرة مع النص المؤسس هي شخصيّة مضطربة تقبّلها لذاتها منخفض وهي كذلك متناقضة وانهزامية ومنطوية ومكتئبة ولا تمتلك القدرة على الاختيار واتخاذ القرارات المناسبة وتعيش في دائرة الشك والفشل وثقتها بنفسها مهزوزة وعندها القابلية لممارسة الأنماط السلوكيّة المنحرفة والشاذة والإجراميّة؛ ولا أدلّ على ذلك من موقف ابني آدم عليه السلام إذ كان قابيل على تنافر مع النص المؤسس ما أثّر سلباً على درجة تقبّله لذاته؛ الأمر الذي دفعه للاعتراض على تقبّل الله تعالى لقربان هابيل شخصية التقوى التي تمتلك أعلى درجات تقبل

الذات المضبوطة بالنص المؤسس؛ كما ودفعه كذلك للتفكير الجاد بممارسة سلوك الإجرام والقتل بحق أخيه، قال تعالى ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آَدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآَخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ**﴾[المائدة: ٢٧]، ومما يدلل على التزام شخصية هابيل بالمصدر ورفضها ممارسة أيّة أنماط سلوكيّة منحرفة تسمها الاضطراب وتخرجها

عن أطر الشخصيّة السويّة وتخفض من درجة تقبّل الذات لديها؛ أنّها لم تفكر البتة بالقتل والإجرام حتى ولو مارست شخصية قابيل القتل في حقها سلوكاً عملياً واقعاً، قال تعالى ﴿**لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾[المائدة: ٢٨]. واستناداً إلى السابق تعدّ الحاجة إلى التقبّل حاجة رئيسة تسعى الشخصيّة إلى تلبيتها وإشباعها؛ وصولاً إلى حالة عامة من الاستقرار والاطمئنان؛ تصدر عنها الأنماط السلوكيّة السويّة المهتدية بسهولة ويسر، بينما عدم التقبّل من أكبر العقوبات التي قدْ ينشطر عنها؛ مجموعة من الأنماط السلوكيّة المنحرفة التي قد تُرْدي فاعلها في القلق والاضطرابات النفسيّة. وتسلّط الدراسة الحاليّة النظر إلى بعض المقوّمات الإجرائيّة التي يُسهم تحقيقها تحقيقاً طرديّاً بالنسبة لعددها بتلبية حاجة الشخصيّة للتقبّل الذاتي المفضي بالحالة العامة إلى التقبّل المجتمعي.

هدف الدراسة وسؤالها:

يهتم الفقه الإسلامي باعتبار سلطته التطبيقيّة الضاغطة بمفهوم تقبّل الذات اهتماماً مميزاً باعتباره مفهوماً سيكولوجياً يتضمن مُحركات السلوك الايجابيّة منها والسلبية؛ وذلك بقصد تعزيز الايجابي وإطفاء السلبي وفق مقتضيات مصادر الفهم العمليّة وصولاً بالشخصيّة إلى حالة مميزة ومُهتدية من السويّة والتكيّف والاستقرار والطمأنينة تقوم على إثرها بمقتضيات الاستخلاف والشهود الحضاري المهتدي المستند إلى الفهم الإسلامي العملي مُنطلقاً وغاية. تهدفُ الدراسةُ الحاليّةُ من جهة المنهجيّة العلميّة إلى تسليط الضوء على بعض مقومات تقبّل الذات المستنبطة من الأدلّة التفصيليّة العمليّة؛ بغية تفعيلها وتطبيقها؛ وصولاً بالشخصيّة إلى حالة عامة مهتديّة من السويّة والتكيّف والاستقرار المنتج الذي على أثره تتمايز الشخصيات فكراً وسلوكاً، وبناءً على ذلك يمكن تحديد مُشكلة الدراسة الحاليّة بالسؤال الرئيس الآتي: ما مُقوّماتُ تقبّل الذاتِ في الفقهِ الإسلاميّ؟.

أهمية الدراسة:

تظهر أهميّة الدراسة الحاليّة من كونها دراسة تأصيليّة تؤصّل لمقومات تقبّل الذات من خلال النص الفقهي القائم على الفهم المهتدي لمصادر الإسلام العمليّة؛ وفي ذلك دليل على سبق الفقه الإسلامي ومرونته وقابليته للتطبيق والإنزال المهتدي على كافة مجالات الحياة، كما وتستثمر الدراسة الحاليّة ضغط الحكم الشرعي الدافع نحو التطبيق بغية إكساب الشخصية مقومات تقبّل الذات فكراً وسلوكاً؛ وصولاً بها إلى نقطة الفقه المفضية إلى حالة عامة من الطمأنينة والاستقرار الدافعة نحو التفاعل الايجابي مع كافة عناصر العملية الاستخلافيّة، كما وتُقدم الدراسة الحاليّة مقياساً سلوكياً مكوناً من ستة درجات تستطيع الشخصية قياس درجة تقبّلها لذاتها وفق مقوماته

القياسية المعتمدة بغية تعزيز الايجابيات وإطفاء السلبيات، كما وتبرز الدراسة الحاليّة جهود فقهاء الإسلام في تنشيط الدراسات التربويّة النفسيّة وتفعيلها، كما وتعدّ الدراسة الحاليّة دعوة للبحث في مجال التربية الفقهية باعتباره مجالاً مهما من مجالات التربية الإسلاميّة وعلم النفس الإسلامي.

حدود الدراسة:

تنضبط الدراسة الحالية بمحددين منهجيين؛ الأول فكري يتعدى الحدود المذهبيّة الفقهيّة المؤطّرة ليشمل التعامل المهتدي مع مصادر الإسلام العمليّة التفصيليّة وصولاً إلى فهم نسقي مهتدي للنص الفقهي، والثاني موضوعي اختياري يتمثل باختيار مقوّمات؛ الاستثمار الحسن للقدرات والإمكانات الفرديّة، والتشاركيّة العمليّة وتكامل الأدوار البنائيّة والدفاعيّة، وتفعيل نظام الصداقة وتنميتها، والتعبير الانفعالي السليم، والاستقلاليّة والاعتماد على الذات، والتحرر منْ عقدة الذنب والمخاوف الكبرى؛ لمعالجتها وللتدليل على أنّها تشكل مقياساً سلوكيّاً عمليّاً يمكن للشخصيّة أنْ تقيس على درجاته نسبة تقبّلها لذاتها إيجاباً أو سلباً.

منهج البحث:

تمّت الإجابة عنْ سؤال الدراسة الرئيس باستخدام أكثر من منهج بحثي، فقد تمّ استخدام المنهج الوصفي الاستقرائي في التعامل مع نصوص الأدلّة التفصيليّة، وتمّ استخدام المنهج التحليلي الاستنباطي في تحليل هذه النصوص واستنباط مُقوّمات تقبّل الذات منها.

التعريفات الإجرائية:

تتضمن الدراسة الحاليّة مجموعة من المصطلحات التي يمكن تعريف بعضها إجرائياً بالآتي:

تقبّلُ الذات: مجموع المقومات والمرتكزات القوليّة والسلوكيّة التي باكتسابها وتفعيلها تدرك الشخصيّة قيمة ذاتها كياناً ودوراً.

الفقهُ الإسلاميّ: الفهم الإسلامي المستكمل لشروطه جميعها في استنباط الأحكام الشرعيّة العمليّة من الأدلّة التفصيليّة.

استثمار القدرات: تنمية القدرات المتاحة وممارستها ممارسة شاملة وفق المصدر المعتمد دونما إفراط أو تفريط.

التشاركيّة: تعاون وتكامل منظم بين كل مستويات الأدوار الفاعلة يتجاوز عمليات التهميش والإقصاء في كل أدوار الحركة الحياتية التخطيطيّة والتنفيذيّة والتقويميّة.

التعبيرات الانفعاليّة: الطريقة المهتدية المتوازنة التي تتبعها الشخصية لبث مشاعرها وأحاسيسها وعواطفها تجاه الأفراد والأنماط السلوكيّة والمنظومة القيميّة والاجتماعيّة السائدة وتجاه مجريات الحركة الحياتيّة بجميع مكوناتها وتفريعاتها.

الاعتماد على الذات: قدرة الشخصيّة على تصريف معظم أمورها الفكريّة والسلوكيّة باستغناء تام أو شبه تام والديمومة النسبية على ذلك.

خُطة البحث:

يشتمل البحث الحالي على: مقدمة، وستة مباحث، وخاتمة، وهي على النحو الآتي:

المبحث الأول: الاستثمار الحسن للقدرات والإمكانات الفرديّة.

المبحث الثاني: التشاركيّة وتكامل الأدوار.

المبحث الثالث: تفعيل نظام الصداقة وتنميتها.

المبحث الرابع: التعبير الانفعالي السليم.

المبحث الخامس: الاستقلاليّة والاعتماد على الذات.

المبحث السادس: التحرر من عقدة الذنب والمخاوف الكبرى.

الخاتمة: تضمنت أهم نتائج البحث وتوصياته.

المبحث الأول: الاستثمار الحسن للقدرات والإمكانات الفرديّة:

يبدأ تقدير الفرد لذاته عندما يدرك وسع طاقاته وقدراته؛ ويجعلها محوراً ضابطاً لأنماطه السلوكيّة، فيمارس منها ما يتناسب وهذه القدرات والطاقات، ويتجنب منها ما لا ينسجم وقدراته وطاقاته؛ وصلاً إلى حالة عامة من التكيّف والاستقرار النفسي والاجتماعي تُعْلي منْ درجة تقبّل الذات لدى الفرد، فأبو ذر الغفاري رضي الله عنه على قيمته ومكانته العظيمة في الإسلام لما طلب الولاية اعتذر الرسول صلى الله عليه وسلّم عن تلبية طلبه؛ لأنّ منصب الولاية لا ينسجم وطاقاتِ أبي ذر وقدراته الفرديّة، فعن أبي ذر رضي الله عنه أنّه قال: "**قلت يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثمّ قال: يا أبا ذر إنّك ضعيف، وإنّها أمانة وإنّها يوم القيامة خزي وندامة، إلاّ من أخذها بحقها وأدّى الذي عليه فيها**" (مسلم، د.ت، رقم الحديث: ١٨٢٥)، ويعدُّ ضرب الرسول صلى الله عليه وسلّم على منكبي أبي ذر الغفاري جمعاً للذهن ودفعاً للتركيز في معطيات الإجابة؛ لتطبيقها والعمل بمقتضاها، وفي مُنادة الرسول صلى الله عليه وسلّم لأبي ذر باسمه(يا أبا ذر)، وفي استخدامه صلى الله عليه وسلّم لأسلوب التوكيد اللفظي بعد ذلك بقوله (**إنّك ضعيف**) إشارة واضحة إلى أنّ منصب الولاية لا يقع تحت إمكانات أبي ذر وقدراته؛ فوصوله إلى حالة من التكيّف والاستقرار النفسي والاجتماعي ترفع من درجة تقبّل الذات لديه؛ لا تكون إلاّ بالاهتمام العملي بما يقع تحت قدراته من الأقوال والأعمال، ويعلّق الإمام النووي (١٣٩٢هـ، ج١٢: ص٢١٠) على هذا الحديث بقوله: "**هذا أصلٌ عظيمٌ في اجتناب الولايات لاسيّما لمن كان فيه ضعف عنِ القيام بوظائف تلك الولاية**"، ولعلّ الصراع النفسي ينشأ بالغالب بين ذات الفرد الحقيقيّة وذاته المثاليّة عندما يبخس الفرد قدراته وإمكاناته ويضع سقف طموحاته أدنى بكثير من سقف إمكاناته وقدراته، وكذلك عندما يرفع سقف طموحاته عن سقف إمكاناته وقدراته رفعاً عالياً لا قِبَل له به؛ ففتيل الصراع النفسي الذي يكدر على الفرد حياته ويهدر عليه إمكاناته وقدراته ويصرفها إلى غير وجهتها المقدّرة لها هو فجوة الإمكانات والقدرات الكبيرة التي تفصل بين سقف الإمكانات والقدرات وسقف الطموحات والآمال، قال أبو علي الورّاق: "**من جهل قدر نفسه عدل على نفسه وعدل على غيره، وآفة الناس من قلة معرفتهم بأنفسهم**" (أبو نعيم،١٤٠٥هـ، ج١٠: ص٣٦٠)، فالمطلوب تنمية شاملة ومهتدية لقدرات الفرد وإمكاناته وتزويده بمهارات المثابرة والصبر؛ بغية تحقيق طموحاته التي تستوعبها قدراته وإمكاناته، ومن الضروري كذلك تزويد الفرد بمهارات معرفة نقطة التوازن النفسي التي تفصل بين القدرات والطموحات؛ ليقف عندها وصولاً إلى حالة عامة من التكيّف النفسي والاجتماعي تحفظ عليه ذاته، وقد جاء في

فيض القدير مرفوعاً:"**رحم الله منْ عرف قدر نفسه؛ فاستراح**" (المناوي، ١٣٥٦هـ، رقم الحديث: ٤٤٤٠)، فالوصول إلى درجة من تقبّل الذات تستريح على أثرها الشخصية؛ يتم عن طريق الاستثمار الحسن للقدرات والإمكانات من غير تقصير ولا تقاعس، وعن طريق تجنيب النفس عناء الدخول في معتركات صعبة غير مضمونة النتائج؛ بغية تحقيق بعض الطموحات والآمال التي لا تقع تحت قدراتها وإمكاناتها؛ ما يهدر عليها وقتها وذاتها ويوقعها في بوتقة القلق والاضطراب.

المبحث الثاني: التشاركيّة وتكامل الأدوار:

يحارب الفقه الإسلامي ثقافة الفكر الإقصائي الاستثنائي؛ فالكلّ في المنظور الفقهي متعاونون ومتشاركون ومخططون ومنفذون ومسئولون عن نتائج التنفيذ الايجابيّة منها والسلبيّة؛ وهذا ما يورث الكلّ المجتمعي لحمة الأفكار والمشاعر والأنماط السلوكيّة ويعلي من ثقافة الجسد المجتمعي الواحد، الذي تتكامل فيه الأدوار والواجبات وتتعاضد ضمن إطار الحركة الحياتيّة الارتقائيّة، قال صلى الله عليه وسلّم: "**أنت على ثغرةٍ من ثُغر الإسلام فلا يؤتين من قبلك**" (الألباني، د.ت، رقم الحديث: ١١٦٥)، فضمير "أنت" في الحديث يعود على كل المسلمين بتنوع أدوارهم وواجباتهم فكلها أدوارٌ مهمةٌ ذات بالٍ ومحل تقدير في منظومة العمل المجتمعي البنائي والدفاعي، ولا يجوز بحال من الأحوال إقصائها أو الانتقاص من قيمتها؛ فالأدوار الصغيرة مقدماتٌ ومتمماتٌ للأدوار الكبيرة، والأدوار الكبيرة هي في مجموعها أدوارٌ جزئيةٌ متكاملة ومترابطة، فالعلاقة ترابطيّة تكامليّة بين أدوار البناء والدفاع صغيرها وكبيرها. وبخلود النص المقدّس وخلود إعجازه فقد تمّ تخليد مبدأ الشورى الذي يسهم تفعيله على طريقة النص المقدّس بمقاومة الفكر الإقصائي الذي يورث التهميش والنبذ وعدم التقبّل، قال تعالى: ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾[الشورى: ٣٨]، فمنظومة العمل الإسلامي تستوجب تفعيل التشاركيّة وتكامل الأدوار في التخطيط والتنفيذ وحصد النتائج والتقييم وصولاً إلى مخرجات يقبلها الجميع؛ لأنّها من إنتاج الجميع. ويجد الناظر أنّ الحكم الشرعي "متعلق بأفعال المكلفين" (النفراوي، ١٤١٥هـ، ج:١ ص:١٦١)؛ وأنّ أحكامه تختلف باختلاف أحوالهم "**في القدرة والعجز والعلم والجهل**" (ابن القيم، ١٩٨٦-ب، ج٣ :ص٥)، قال ابن تيمية (د.ت-أ، ج: ١٩ ص: ١٤٤): "الأحكام الشرعيّة تختلف باختلاف أحوال المكلفين"، فكلّ نمطٍ سلوكي صادر عن المكلفين له محل حكم في الفقه الإسلامي؛ فلا مجال لنبذ أو إهمال أو إقصاء أيّ نمطٍ سلوكي صغيراً كانَ أم كبيراً، خيراً كانَ أم شراً، قال تعالى: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾[الزلزلة:٨:٧]، فجميع الأنماط السلوكيّة الصادرة عن المكلفين ذات بال وتقدير واهتمام في نظر الشارع؛ ما يُخلّي ذواتهم عن الشعور بالتهميش والنبذ والإقصاء؛ الذي قدْ يسبب لهم الكثير من القلق والاضطراب؛ فتراهم يلتفّون حول النص المقدّس الذي يُقدّرهم ويعلي من وزن ذواتهم. وفي أحكام العبادات والمعاملات والعقوبات مساحة اختيار واسعة مضبوطة بالنص يستطيع المكلف من خلالها أنْ يختار الحكم الشرعي الذي يتناسب وظرفه وقدراته؛ وبذلك يشعر بأنّه شريك فعّال في اختيار وإنزال ما يناسبه من

الأحكام الشرعيّة على نفسه، ومثال ذلك قال ابن عبد البر (٢٠٠٠، ج٢: ص٢٢٥): "**المسافر مُخيّر في القصر والإتمام، كما هو مُخيّر في الفطر والصيام**". وسدّاً لباب الإقصاء والنبذ الاجتماعي؛ حرّم الإسلام مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه؛ لأنّ ذلك طريق مؤدية إلى إقصاء الثالث ونبذه وإهماله؛ وطريق لإصابته بالضيق والقلق والاضطراب والتبرّم الناتج عن الشعور بعدم التقبّل، قال صلى الله عليه وسلّم: "**إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما؛ فإنّ ذلك يُحزنه**" (مسلم، د.ت، رقم الحديث: ٢١٨٤)، والنهي الوارد بمصطلح "**فلا يتناجى**" للتحريم؛ فالإمام مسلم عنون للباب بقوله: "**باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه**"، ولما كانَ الموقف التعليمي هو مفتاح التعامل الحقيقي مع كل مجالات الحياة ومخرجاته مكانها التطبيق الذاتي والمجتمعي؛ فيجبْ أنْ يُنزّه منهجيّاً عن كلّ عمليات الإقصاء والنبذ والإهمال المقصودة وغير المقصودة التي قدْ تمارس على بعض المتعلمين داخله؛ فعلى المعلم كخطوة أولى إدارة الموقف التعليمي من خلال الأهداف التعليميّة القائمة على أساس القدرات والطاقات التعليميّة، قال ابن القيم (١٩٧٣، ج٢: ص٢٠٥): "**فَاوت الله سبحانه بين قوى الأذهان، كما فَاوت بين قوى الأبدان**"؛ فيحسن أنْ يشارك كل المتعلمين في اختيار ووضع وتنفيذ وتقييم الأهداف التعليميّة الجزئيّة التي تتناسب وقدراتهم وطاقاتهم الفرديّة؛ ما يجعل الموقف التعليمي قائماً على أساس العمل التشاركي التكاملي غير الإقصائي؛ كما ويُطَهّر ذلك ذوات المتعلمين عن تهمة النبذ والإقصاء وعدم التقبّل التي قدْ يُطْلقها أو يشعر بها بعض المتعلمين، وعلى المعلم الجلوس على وضعية تسهّل من عمليّة التواصل بين كل المتعلمين ومركز التعليم، قال الشربيني (١٤١٥هـ، ج٢: ص٦١٦): "**يجلس على مرتفع كدكة؛ ليسهل عليه النظر إلى الناس وعليهم المطالبة**"، فَجِلْسة المعلم ووقْفته غير المدروسة؛ قد تقصي بعض المتعلمين عن التواصل الحقيقي مع المعلم، وعلى المعلم استخدام لغة التواصل السهلة والواضحة؛ التي تمكنه من التواصل الفعّال مع جميع المتعلمين، قال ابن الصلاح (١٤٠٧هـ، ج١: ص٧٤): على المعلم أنْ "**تكون عبارته واضحة صحيحة؛ بحيث يفهمها العامة، ولا تزدريها الخاصة**"، فلغة التواصل الركيكة الضعيفة المشوّهة قد تُقصي طرفاً من المتعلمين، كما تفعل لغة التواصل صعبة المفردات والتراكيب نفس الفعل فتقصي طرفاً آخراً من المتعلمين، فعلى المعلم استخدام لغة التواصل التشاركيّة التي يتفاعل معها جميع المتعلمين؛ لتحقيق أهداف الموقف التعليمي، وعلى المعلم طرح واجبات الموقف التعليمي وفروضه لجميع المتعلمين دونما إقصاء لطرف على حساب طرف؛ فذلك يُثير القلق والاضطراب ويُغْري بعدم المتابعة، فالرسول صلى الله عليه وسلّم كانَ يطرح واجبات الموقف التعليمي النبوي للجميع دونما استثناء أو عزل، ومن ذلك على سبيل المثال ما رواه جابر رضي الله عنه قال: **قال النبي صلى الله عليه وسلّم: "من يأتني بخبر القوم"، يوم الأحزاب، قال الزبير: أنا، ثمّ قال: "من يأتيني بخبر القوم". قال الزبير: أنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلّم: "إنّ لكلّ نبيّ حواريّاً وحواري الزبير"** (البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ٢٦٩١)، فالرسول

صلى الله عليه وسلّم فتح طلب إتيانه بخبر بني قريظة لجميع الحضور دونما استثناء أو إقصاء أو عزل، وكرر ذلك صلى الله عليه وسلّم مرتين بلغة واضحة مفهومة للجميع؛ حتى يُخبر الجميع بأنّ الموقف التعليمي يدار عنْ طريق الأهداف والنتاجات القائمة على أساس الفروق الفرديّة؛ وحتى يُنْبيهم بأنّهم شركاء متعاونون في اتخاذ القرارات وفي تنفيذ الإجراءات وفي تقاسم النتائج.

تَقْبل الشخصيّة ذاتها عندما يَقبل المجتمع بأدوارها البنائيّة والدفاعيّة ويعترف بقيمة عملها ويُقدّر تأثيره وجوداً وغياباً في منظومة العمل المجتمعي التراكمي، وغير ذلك من الإهمال وعدم التقبّل؛ قدْ يدفع بالشخصيّة إلى الانسحاب والانطواء على الذات وفقدان الثقة بالقدرات، وقدْ يدفع بها كذلك إلى إبراز دورها بالوسائل السلبيّة المخالفة للنسق الاجتماعي المطبّق، وفي الحالتين السابقتين تضعف فرص الشخصيّة في التقبّل الذاتي والخارجي، ولا سبيل للخروج من ذلك إلاّ بتفعيل مبدأ التشاركيّة وتقسيم الأدوار وفق القدرات والإمكانات والقبول بمخرجاته في منظومة العمل المجتمعي تعزيزاً وتقويماً وفق أصول المنهج المعتمد.

المبحث الثالث: تفعيل نظام الصداقة وتنميتها:

يُعدّ نظام الصداقة والصحبة القائم على أساس توافق الجنس والعمر المتقارب؛ حاجةً فطريّةً يسعى الفرد إلى تلبيتها على خط طول مسارات حياته المتعددة؛ لأنّها من مُوجِبات تقبّل الذات؛ فجماعة الرفاق تُشْعر الفرد بالقبول الاجتماعي وأنّه موضع تقدير الآخرين واهتماماتهم، كما وتعمل على إكساب أعضائها الكثير من الخبرات والمهارات الحياتيّة بنجاح؛ لأنّ التعليم داخلها يتمّ بطُرقٍ غير إلزاميّةٍ بعيدة عن مركزيّة المصدر، ولما كان لنظام الصداقة أثرٌ فاعلٌ على ذوات الأفراد؛ نجد أنّ أحكام الفقه الإسلامي تدفع باتجاه تفعيل نظام الصداقة المهتدية بين أفراد المجتمع المسلم، ومن ذلك أنّه جعلَ مُخالطة الناس والصبر على أذاهم خيرٌ من العزلة والسلبيّة؛ فكثرة المخالطة تتقارب على إثرها ذوات الأفراد؛ فتحصل الصداقة بينهم، قال صلى الله عليه وسلّم: **"المسلم إذا كان مُخالطاً الناس ويصبر على أذاهم، خيرٌ من المسلم الذي لا يُخالط الناسَ ولا يصبرُ على أذاهم"** (الترمذي، د.ت، رقم الحديث: ٢٥٠٧)، كما أنّ المسلم الفاعل يجبْ أنْ يمتلك مهارات ومقوّمات بناء علاقات الصداقة المهتدية مع الآخرين، **قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "المؤمن مألفة، ولا خير فيمن لا يَألف ولا يُؤلف"** (ابن حنبل، د.ت، رقم الحديث: ٢٢٨٩١)؛ فالمسلم قادرٌ على بناء علاقات صداقة متينة مع جميع الطبائع؛ لامتلاكه خاصية الألفة التي على إثرها يستطيع أن يؤلّف حتى بين الطباع المختلفة، كما ووضع الفقه الإسلامي مجموعة من القواعد والمنطلقات؛ لحفظ نظام الصداقة؛ ولحفظ مساره عن الخروج عن الخط المهتدي المرسوم له، ومن ذلك أنّه عدّ نظام الصداقة نظاماً عزيزاً يجبْ عدم تقويض أركانه لسفاسف الأمور، قال السلمي (١٩٩٠، ص٦٣): على **"المؤمن إذا ظفر بأخ أو صديق أنْ لا يُضيعه، ويعلم أنّ الأخوّة والصداقة عزيزة"**، كما وبيّن أنّ بعض الانحرافات الفكريّة والسلوكيّة لا تجيز للصديق أنْ ينقلب على صديقه؛ فالصديق المنحرف عن جادة الصواب أحوج ما يكون لصديقه الصالح؛ ليأخذ بيده في مثل هذا الظرف، حكا الغزالي (د.ت، ج٢:

ص١٨٤) "**عن أخوين من السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة، فقيل لأخيه: ألا تقطعه وتهجره، فقال: أحوج ما كان إليّ في هذا الوقت؛ لمّا وقع في عثرته أنْ آخذ بيده، وأتلطّف له في المعاتبة، وأدعو له بالعود إلى ما كان عليه**"، ولديمومة علاقة الصداقة بين الأصدقاء تمّ ربط مخرجاتها بالخيريّة الدافعة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم:" **خيرُ الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخيرُ الجيران عند الله خيرهم لجاره**" (الترمذي، د.ت، رقم الحديث: ١٩٤٤)، فالأصدقاء في تنافس دافع على مدار أعمال الصداقة ومخرجاتها؛ فكلّ عملٍ خَيّرٍ يقابله الآخر بعمل خَيّرٍ آخر مشفوعاً بالدعاء لفاعله، وهذا التنافس على الخيريّة بين الأصدقاء يحفظ نظام الصداقة ويحميها عن الانحراف، ولما كانَ المؤمن مرآة أخيه الواضحة؛ بدليل قوله صلى الله عليه وسلّم:" المؤمنُ مرآة المؤمن "(أبو داوود، د.ت، رقم الحديث: ٤٩١٨)، فتفعيل مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة والعِتاب بتوازن بين الأصدقاء ضمان لديمومة نظام الصداقة واستمراريتها، قال ابن حزم (١٩٧٩، ص٤٠): "**اسْتَبقاك من عاتبك، وزهد فيك من استهان بسيئاتك**"، وقال أيضاً في خِضمّ حديثه عن النصيحة: "**وليس كلّ صديق ناصحاً، لكن كلّ ناصح صديق فيما نصحَ فيه**" (ابن حزم،١٩٧٩،ص٤٢)، مع ضرورة العلم أنّ كثرة إنكار الصديق على صديقة في دقائق الأمور وعظيمها قدْ يدفع إلى خرق نظام الصداقة؛ لأنّ الصداقة في الأصل غير قائمة على نظام الأمر والتسلّط والمحاسبة والمراقبة، قال السلمي (١٩٩٠، ص٦٣): "**والصحبة مع الإخوان: بالبشر، والانبساط، وترك الإنكار عليهم ما لم يكن خرق شريعة أو هتك حرمة**"، فالتوازن في استخدام مبدأ الإقرار والإنكار بين الأصدقاء؛ يحفظ بتوازن نظام الصداقة ويحميها عن الخروج السلبي عن مسارها المهتدي. وأيّ نظام ناجح يجب أن يكون مُحاطاً بنظامٍ واضحٍ من الحقوق والواجبات، وكذا نظام الصداقة فقد بيّن الفقه الإسلامي حقوق الصداقة وواجباتها؛ تبييناً للأدوار، وتسريعاً للتطبيق، وضبطاً للمخرجات والنتائج، قال المقدسي (١٤١٧هـ، ج١: ص٣٠٥): "**للمسلم على المسلم: أنْ يستر عورته، ويغفر زلته، ويرحم عبرته، ويُقِيلَ عثرته، ويقبل معذرته، ويردّ غيبته، ويديم نصيحته، ويحفظ خلته، ويرعى ذمته، ويجيب دعوته، ويقبل هديّته، ويكافئ صلته، ويشكر نعمته، ويحسن نصرته، ويقضي حاجته، ويشفع مسألته، وَيُشَمّت عَطْسته، ويردّ ضالته، ويواليه، ولا يعاديه، وينصره على ظالمه، ويكفه عن ظلمه غيره، ولا يسلّمه، ولا يخذله، ويحبّ له ما يحبّ لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه**"، فنظام الحقوق والواجبات يعدّ خطاً حافظاً لمسار الصداقة؛ يزيد من فرص تلاحمها وتطابقها وتكاملها، ويجعل كلّ صديق يدرك قيمة صديقه، وبالتالي يحرص على تقبّله وتقديره.

يَدفع الفقه الإسلامي الشخصيّة للانخراط في نظامِ صداقاتٍ مهتدي مصدره ومنقلبه النص المؤسِس؛ لِما لنظام الصداقة من آثار ايجابيّة على الشخصيّة؛ فهي تلبّي حاجتها للتقبّل والتوافق بدرجة مرتفعة؛ وتبصّرها بقيمة دورها في الجماعة والمجتمع، فهي ليست هامشيّة غيابها كحضورها لا قيمة له؛ كما أنّ نظام الصداقة

نظامٌ تعليميٌّ غير قائم على المركزيّة فالمعلومات والخِبرات والمهارات مصدرها الجميع وهي مطروحة للجميع دونما فرض أو إجبار. قال أبو ذر: "**الصاحب الصالح خيرٌ من الوحدة، والوحدة خيرٌ من صاحب السوء**" (ابن أبي شيبة،١٤٠٩هـ، ج٧: ص١٢٣)، فالشخصيّة المتوافقة لا يمكن أنْ تعيش دونما احتكاكات: ايجابيّة وسلبيّة مع الآخرين؛ تكتسب من خلالها الخبرات والمهارات وتحوّلها إلى أنماط سلوكيّة مُقوّمة بالخبرة المعيشة؛ ما يرفع من درجة تقبّلها لذاتها، بينما الشخصيّة المتَقَوقِعة على ذاتها، هي شخصيّة خَداجٌ غير توافقيّة معرّضة للاضطراب والقلق؛ لإمكانية انهيارها عند أيّ مُعْترك من مُعتركات الحياة المتعددة.

المبحث الرابع: التعبير الانفعالي السليم:

تُعدّ المشاعر إحدى مكونات الشخصيّة بجانب الأفكار والسلوك، ويُقْصد بها: تعبيرات الشخصيّة وانفعالاتها وردّة فعلها النفسيّة المستندة إلى الايدولوجيا تجاه مُجْريات الحياة وتعقيداتها ومواقفها المتنوعة الداخليّة منها والخارجيّة، وبقدر ارتباط المشاعر بالايدولوجيا ارتباطاً تَطابقيّاً، وصدقها، وتوازنها، وآلية إظهارها وتنفيذها، وخلوّها عن العوض التبادلي النفعيّ؛ تظهر حالة دافعة إلى التقبّل والانصهار بين الشخصيّات التي تجمعها هذه المشاعر والانفعالات، قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "**مَثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى**" (مسلم، د.ت، رقم الحديث: ٢٥٨٦)، فالمشاعر الحقيقيّة المفعّلة بين الشخصيّات المؤمنة؛ تُظهر حالة عالية من التقبّل والانصهار والتطابق بين هذه الشخصيّات؛ تبدو على إثرها الشخصيّات وكأنها شخصيّة واحدة متكاملة المشاعر والعواطف والأحاسيس والانفعالات، فكما أنّ الجسد الواحد يتقبّل أعضاءه ويفتقدها حالة مرضها وشكواها ولا يلفظها؛ لأنّها من مقوّمات ذاته ووسيلته لإتمام مَهماته وواجباته، كذا الشخصيّات مترابطة المشاعر والانفعالات يُميزها ويجمعها التقبّل وتكامل الأدوار والمهمات الدفاعيّة والبنائيّة على جميع المستويات، واستناداً إلى المنظومة الأخلاقيّة؛ تؤدي المشاعر والانفعالات دورها الايجابي في التقبّل الذاتي والخارجي إذا ما انبثقت عن الايدولوجيا، قال ابن تيمية (د.ت-أ، ج٢: ص٤٠): "**يجبْ أنْ يحبّ العبد ما يحبّه الله، ويبغض ما يبغضه الله، ويرضى بما يرضى الله، ويغضب لما يغضب الله، ويأمر بما يأمر الله به، وينهى عما ينهى الله عنه، ويوالى منْ يواليه الله، ويعادي منْ يعاديه الله، ويحبّ لله، ويبغض لله، ويعطي لله، ويمنع لله؛ بحيث يكون موافقاً لربه تعالى**"، فصدور مشاعر الشخصيّة وانفعالاتها مضبوطةً مُنطلقاً ومُنقلباً بالايدولوجيا؛ يولّد لديها تقبّلاً ذاتيّاً ناتجاً عن توافقها المتطابق مع المنهج باطناً وظاهراً؛ ما ينعكس عليها استقراراً وتوافقاً نشطاً دافعاً للتفاعل مع الآخرين بتنوعهم؛ ما يثمر أيضاً قبولاً خارجيّاً محققاً لقيم الانجذاب والتوافق الخارجي على اتساع عملياته، قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "**إنّ الله تبارك وتعالى إذا أحبّ عبداً نادى جبريل إنّ الله قدْ أحبّ فلاناً فأحبّه؛ فيحبّه جبريل، ثمّ ينادي جبريل في السماء إنّ الله قدْ أحبّ فلاناً فأحبّوه؛ فيحبّه أهل**

السماء؛ ويوضع له القبول في أهل الأرض" (البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ٧٠٤٧)، فسلسلة القبول تبدأ بتطبيق الشخصيّة للمنهج تطبيقاً كاملاً يتناسب وقدراتها الفرديّة؛ ما يولّد لديها تقبّلاً ذاتيّاً؛ يُثمر توافقاً واستقراراً نَشِطاً قابلاً للتفاعل الايجابي مع الآخرين؛ ما يفضي إلى قبولٍ خارجي عام تكاملي في إطار الحركة الحياتيّة والمجتمعيّة. كما ويعمل مبدأ التوازن الانفعالي على الرفع من درجة تقبّل الشخصيّة: الذاتي والخارجي؛ فانحراف انفعالات الشخصيّة ومشاعرها وأنماطها السلوكيّة تجاه الإفراط أو التفريط؛ يَسِمها بالتعجّل والاندفاع، ويعزلها عن ضابطها الفكري والعقلي، ويجعلها مربوطة بِردّات فعل لحظيّة غير محسوبة النتائج؛ ويوقعها بالكثير من الأخطاء الانفعاليّة والسلوكيّة التابعة للحالة الانفعاليّة، ما يولّد لديها حالةً عامةً من كبت الانفعالات والأنماط السلوكيّة؛ تجنباً لآلام الإحباط وتبرماته؛ ما يعزل الوسط المحيط عن التفاعل الحقيقي المنْتج معها؛ وَيُقلل من فرصها بالتقبّل الذاتي والخارجي، قال صلى الله عليه وسلّم: "**أحبب حبيبك هوناً ما؛ عسى أنْ يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما؛ عسى أنْ يكون حبيبك يوماً ما**" (الترمذي، د.ت، رقم الحديث: ١٩٩٧)، فالعلاقة الانفعاليّة بين الأطراف يجبْ أنْ تقوم على أسس التوازن الانفعالي بحيث لا إفراط ولا تفريط؛ فإغراق الانفعالات في حالات الحبّ والبغض؛ يُنتج بيئةً سلبيّةً غير دافعة للتقبّل، فإذا ما انقلبت الأحوال وتبدّلت المشاعر والانفعالات من الحبّ المفرط إلى البغض المفرط؛ تُوسّع على إثر ذلك نقاط الضعف؛ وتبرز على أنّها ذات الشخصيّة وكلها المتفاعل معه؛ ما يروّج اجتماعيّاً إلى ضرورة عدم قبولها والتفاعل الايجابي معها؛ كما وتُقوقِع آثار الانقلاب الانفعالي السلبيّة الشخصيّة حول ذاتها، وتَصْرفها عن قبول الآخرين والتفاعل الايجابي معهم؛ تَجنباً لخبرات الانقلاب الانفعالي المؤلمة، أمّا في حالات الانقلاب الانفعالي منْ البغض المفرط إلى الحبّ المفرط فإنّ ذلك غير كفيل بإزالة عوائق التقبّل الراكسة بين الأطراف إزالةً تامةً؛ لإنعدام الثقة الانفعاليّة بين الأطراف، فالبغضاء يمكن أنْ تُذكى بينها مرة أخرى؛ لقيام مبرراتها في النفوس؛ ما يصْبغ العلاقات بالدخن والتَوجّس والحذر؛ ويمنع من وجود تقبّل تام مبني على الثقة بين الأطراف، وفي كلتا حالتي الانقلاب الانفعالي تقع الشخصيّة تحت تأثير تأنيب الذات ولومها؛ لعدم التزامها بمبدأ التوازن الانفعالي أثناء إقامة علاقاتها الانفعاليّة السلوكيّة مع الآخرين. كما وتحظى الشخصيّة التي تحوّل انفعالاتها الايجابيّة إلى ممارسات سلوكيّة ايجابيّة بالتقبّل الذاتي والخارجي أكثر من الشخصيّة التي تكتفي بالتنظير الانفعالي دونما سلوك؛ إذا التفعيل وفق القدرات والإمكانات المتاحة مطلبٌ فقهيٌّ يُعَزز من مقومات التقبّل ومبادئه انفعاليّاً وسلوكيّاً، فانفعالات الرحمة وانفعالات معرفة حقّ الكبير مثلاً الواردة في قوله صلى الله عليه وسلّم: "**مَنْ لم يرحمْ صغيرنا ويعرف حقّ كبيرنا؛ فليس مِنّا**" (الحاكم، ١٩٩٠، رقم الحديث: ٧٣٥٣)، المطلوب إخراجها من إطارها المعرفي النظري وتحويلها إلى أنماط سلوكيّة ممارسة في مجريات الحياة المعيشة وتشعيباتها دونما اكتفاء بالشق التنظيري فقط، ويشير الضمير المتصل "**نا**" في كلمتي "**صغيرنا**" و"**كبيرنا**" إلى أنّ الصغير وكذا الكبير جزءٌ مُتقبّلٌ

انفعاليّاً وسلوكيّاً في الكلّ المجتمعي، وانّ تحويل الانفعالات إلى أنماط سلوكيّة ضمن نظام الحقوق والواجبات الممارسة بين الصغير والكبير؛ يُعزز منظومة العمل المجتمعي التي تَقْبل كل عناصرها ومكوناتها ومحركاتها البشريّة ولا تمارس عليها سياسة تهميش الأدوار وإقصائها؛ وصولاً إلى مرحلة من اللُحْمَة والتقبّل العام المنْتج، كما وتشير جملة "فليس مِنّا" الواردة في الحديث السابق إلى أنّ تفعيل المشاعر والانفعالات تفعيلاً سلوكيّاً سلبيّاً مُخالفاً لمنظومة الأخلاق الإسلاميّة يُفقد الشخصيّة مقومات التقبّل والجذب المجتمعي ويقصيها ذاتيّاً وخارجيّاً عنْ محور التجمع؛ فَعِظم المسافة العازلة الطاردة بين الطرفين تَكْبر وتتسع طرديّاً مع ممارسة الشخصيّة للانفعالات السلبيّة في المجتمع؛ فتقصي الشخصيّة ذاتها ايجابيّاً عن الكلّ المجتمعي، وتقصي الجماعة أدوار الشخصيّة وممارساتها ولا تعتمدها في النسق المجتمعي التشاركي؛ وصولاً إلى مرحلة يُعلن فيها الإقصاء وعدم التقبّل بين الطرفين. ويعدّ من الأفضل سلوكيّاً نشر المشاعر والانفعالات بين الأطراف وعدم تركها حبيسة الكبت والانغلاق الذاتي؛ فإخبار الطرف الأول للطرف الثاني المعني بما يجول في صدره من مشاعر وانفعالات ايجابيّة تجاهه، يعدّ خطوة تَقبليّة صادرة تنتظر خطوة تَقبليّة واردة؛ وتكامل الخطوات يدعم فرص التقبّل الحقيقي المتبادل بين الأطراف، كما ويشكّل ذلك إلزاماً ذاتيّاً وخارجيّاً مُعلناً يتعهد به الطرف الأول للطرف الثاني المعني بممارسة متطلبات التقبّل الانفعاليّة والسلوكيّة تجاهه، فمن غير المتوقع بعد الإعلان الانفعالي الايجابي الاختياري له أنْ يمارس ضدّه سياسة الإقصاء والنبذ والتهميش، وإذا ما أعلن الطرف الثاني للطرف الأول عنْ نفس المشاعر والانفعالات الايجابيّة تجاهه؛ حصل تعاقد انفعالي سلوكي بين الطرفين على التقبّل التكاملي القدوة الضاغط نحو التطبيق الذاتي والخارجي؛ لذلك فالرسول صلى الله عليه وسلّم كانَ يحثّ على عدم كبت المشاعر والانفعالات الايجابيّة وعلى ضرورة إيصالها للطرف المعني بأفضل الأساليب التي تراعي مُتغيرات الزمان والمكان، **فعن أنس بن مالك: أنّ رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلّم: "إني أحبّ فلاناً في الله، قال: فأخبرته؟ قال: لا، قال: فأخبره، فقال: تعلم إنّي أحبّك في الله، قال: فقال له: فاحبّك الذي أحببتني له"** (ابن حنبل، د.ت، رقم الحديث: ١٢٦١٢)، وَجّه الرسول صلى الله عليه وسلّم الطرف الأول إلى ضرورة إخبار الطرف الثاني المعني بما يجول في نفسه من مشاعر وانفعالات ايجابيّة تجاهه؛ دعماً لفرص التقبّل التبادلي بين الطرفين؛ وتَخليصاً لذات الشخصيّة من الآثار السلبيّة لكبت الانفعالات والمشاعر، فلمّا فَعَلَ رضي الله عنه؛ حصل تقبّل تكاملي تبادلي بين الطرفين مُدْخلاته الإخبار اللفظي ومُخْرجاته تعاقد سلوكي قائم على أسس المنهج المعتمد ومبادئه القابلة للتطبيق والإنزال المهتدي على ارض الواقع المعيش. وكلما جُرّدت غايات المشاعر والانفعالات عنْ المنافع والمآرب الماديّة الضيّقة؛ تحررت منْ عدم الصدق والتبدّل والمرحليّة؛ ووجدت لها مُتقبّل صدقٍ في نفوس مُصْدريها ومُتلقيها؛ وأنتجت قبولاً ذاتيّاً وخارجيّاً غايته تَفْعيل النص المقدّس والتزام المنهج، وهذا واضح من منطلق التقبّل "**إنّي أحبّك في الله**" وغايته ونهاياته العظمى "**فأحبّك الذي أحببتني له**"،

فتحقيق أهداف المنهج المعتمد هو غاية الانفعالات والمشاعر دونما نظر إلى أيّة عوض مادي منتظر؛ يُبرر لعدم تقبّلها وتفعيلها، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[الشعراء: ١٠٩]، ولعلّ السؤال الذي يُطرح هل يجوز للطرف الأول أنْ يخبر الطرف الثاني بما يحمله له من المشاعر والانفعالات السلبية؟، تتمّ الإجابة عنْ هذا التساؤل وفقاً لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأولاً: إذا ما أظهر الطرف الأول مشاعر الكره والعداوة والبغضاء تجاه الطرف الثاني لا لسبب إلاّ لوقوفه على الحقّ المبين، ما على الطرف الثاني إلاّ الاستمرار بتأدية واجباته الدعويّة التقبليّة تجاه الطرف الأول لا يثنيه عن ذلك كلّ مشاعر الكره والعداوة والبغضاء السلبيّة المعلنة القوليّة منها والفعليّة، وقدوتنا في ذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم الذي مورست ضدّه كلّ أصناف الكره والعداوة والبغضاء: القوليّة والسلوكيّة، فقابلها صلى الله عليه وسلّم بقوله التقبّلي: "**اللهم اغفر لقومي فإنّهم لا يعلمون**" (البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ٣٢٩٠)، ثانياً: ووفق المنهج يجبْ أنْ تصدر الانفعالات السلبيّة وعدم الرضا تجاه النمط السلوكيّ السلبي الذي تصدره الشخصيّة لاتجاه ذات الشخصيّة؛ فبعد انضباط سلوك الشخصيّة بالمنهج المعتمد لا يَحِلُّ إظهار انفعالات الكره والبغض تجاهها؛ فهي الآن ضمن نسقيّة الأخوّة الإسلاميّة المتكاملة، قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾[آل عمران: ١٠٣]، فعدم التقبّل الموصل للتنافر سببه الأنماط السلوكيّة السلبيّة التي تمارسها الشخصيّة لا ذات الشخصيّة وبنائيتها، وبعد إجراء عمليات تعديل السلوك وفق مبادئ ومعايير النص المقدّس؛ يجبْ أنْ تُقبل الشخصيّة ضمن الجماعة الإسلاميّة، ثالثاً: على الطرف الأول أنْ يكون حَصيفاً فإذا ما علم بالخبرة العمليّة بأنّ انفعالاته السلبيّة المعلنة تجاه بعض أنماط الطرف الثاني السلوكيّة السلبيّة؛ ستؤدي إلى ردّة فعل سلوكيّة عكسيّة سلبيّة أعظم؛ وأنّها ستوقع التقاطع والتدابر وعدم التقبّل بينهما؛ فعليه تَسْييس الأمور بالحكمة والموعظة الحسنة ومراعاة مبدأ التدرج والإرجاء السلوكي إلى حين اختيار الوقت الدعوي المناسب الذي "**تكون المصلحة فيه راجحة على المفسدة**" (ابن تيمية،١٤٠٣هـ، ج٢: ص٢١١)، فإنْ لم يفلح اعتزله بعض الوقت؛ ليشْعِره بعظم ذنبه، ثمّ عاد إليه أخرى، ولا ضير من الاستعانة بخبرات بعض المقرّبين المحيطين؛ لِتَكْوين حلقة دائريّة ضاغطة باتجاه الحقّ، ولا يدفعه إصراره وعناده إلى هجره وعزله على الديمومة؛ فإنّه حينها يتركه برفقة المنكر فيتكاملان؛ فيصعب الفصل بينهما مُستقبلاً، قال ابن القيم (١٩٨٦– أ، ص ٥٧): "**اتصال المؤمن بالكافر لا يضرّه شيئاً إذا فارقه في كفره وعمله**"، فاتصال المؤمن بالكافر وتقبّله في إطار البناء الحضاري الإنساني العام عمل مشروع، وقد يصل استناداً إلى بعض متغيرات الزمان والمكان إلى درجة الضروريّات، فكيف لبعض الفهوم أنْ تروّج لفقه التقاطع والتدابر وعدم التقبّل بين المسلمين على أساس درجاتهم الإيمانيّة التي لا يعلم بحقيقتها إلاّ الله تعالى، وتعمد إلى تضييق النص على مقدار هذا الفهم الاقصائي، وجعله معياراً أصيلاً لفهم النصوص والتعامل معها؛ ما أنتج شخصيات لا تمتلك مهارات

تقبّل الذات فضلاً عن مهارات تقبّل الآخرين والتعاون التكاملي معهم وبهم؛ وما أورث المجتمع ثقافة الفُرْقة، والاختلاف، وعدم التقبّل على جميع المجالات والمسارات.

يرتبط التقبّل الانفعالي بقدرة الشخصيّة على إيصال انفعالاتها ومشاعرها المضبوطة بقيم النص المؤسِس إلى الطرف الآخر دونما كبت أو اضطراب، وبطريقة متوازنة انفعاليّاً وبعيدة عن الإفراط والتفريط، وبقدرتها على تحويل تلك الانفعالات والمشاعر إلى أنماط سلوكيّة ايجابيّة مجرّدة عن المآرب والغايات الماديّة اللحظيّة الضيّقة، فنجاح الشخصيّة في التواصل الانفعالي يُعْلي من درجة تقبّل الذات لديها؛ ويولّد حالة عامة من التقبّل الجاذب؛ الناتجة عن تحقيق الشخصيّة لشروط التواصل الانفعالي الاجتماعي.

المبحث الخامس: الاستقلاليّة والاعتماد على الذات:

يَهدف الفقه الإسلامي من حيث منطلقات الفهم النظريّة والعمليّة إلى إنتاج شخصيّات مستقلّة الفهم والسلوك تعتمد على ذاتها في تصريف معظم أمورها؛ فالتقبّل الذاتي والخارجي مرتبط إلى درجة كبيرة بالاستقلاليّة والاعتماد على الذات. تُعين مبادئ المنهج ومنْطلقاته ونهاياته الكبرى الشخصيّة على التزام سلوك الاستقلال والاعتماد على الذات، فالاستقلاليّة من حيث المنطلق مُنْتج الحريّة التي فطر الله تعالى الناس عليها، بينما سلب الذات والتبعيّة والتقليد مُنْتج العبوديّة، قال ابن حجر (١٣٧٩هـ، ج٩: ص١٣٠): "**الحريّة حكمها الاستقلال**"، ودرجة التقوى التي هي غاية المنهج ومعياره التمايزي، تُعني "**الاستغناء عن المخلوق**" (المباركفوري، د.ت، ج٩: ص٢٨٥)، فالوصول إلى درجة التقوى لا يتأتّى إلاّ عنْ طريق الاعتماد على الذات في الاتصال المستقل الدائم **بالله تعالى**، والاستغناء عن الخلق، كما ويؤكّد المنهج على "**أنّ أفعال العباد مقدورة لهم، وواقعة منهم على جهة الاستقلال**" (ابن حجر، ١٣٧٩هـ، ج١: ص١١٩)؛ فيستطيع العبد على الحقيقة أنْ يختار بكامل الحريّة والاستقلاليّة بين طريقي الحقّ والباطل منْ غير إجبار ولا إكراه وتأكيداً على هذه الاستقلاليّة سيحاسب الإنسان على اختياراته في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾[الإنسان: ٤]، وتقوم إجراءات المنهج القوليّة والعمليّة البدنيّة أصالةً على الممارسة الذاتيّة المستقلّة إلاّ في بعض حالات الاستثناء المقدّرة بقدرها، قال الشوكاني (١٩٧٣، ج٤: ص٣١٩): "**الأصل عدم النيابة في العبادة البدنيّة**"، والعبادات الوسائليّة تستند كذلك إلى الاستقلاليّة والاعتماد على الذات، فالوضوء مثلاً مِنْ سننه "**ترك الاستعانة بالصبّ عليه لغير عذر؛ لأنّه الأكثر مِنْ فعله صلى الله عليه وسلّم؛ ولأنّها نوع منْ التنعيم والتكبّر، وذلك لا يليق بالمتعبد، والأجر على قدر النصب، وهي خلاف الأولى، وقيل: تكره**" (الشربيني، ١٤١٥هـ، ج١: ص٥١)، فالمنهج بكله وجزئيّاته يدفع باتجاه الاستقلاليّة والاعتماد على الذات؛ إخراجاً لشخصيّات مُتمايزة تؤدي أدوارها المستقلّة في إطار العمل الإسلامي التكاملي. ويؤكّد الفقه الإسلامي على ضرورة إنزال الاستقلال الفكري والعملي الإنتاجي إلى ساحة التطبيق المجتمعي، والحرص التام على سيرهما

معاً بخط طول متوازي على مسار الحياة المجتمعيّة؛ إنتاجاً لشخصيّات مهتدية مستقلّة الفكر والعمل الإنتاجي؛ تحقق شروط التقبّل الذاتي والخارجي، وفي سبيل تحقيق استقلاليّة الفكر يرفض الفقه الإسلامي التقليد والتبعيّة الفكريّة ويعدّهما سبباً لسلب الذات، وتعطيل العقل، وقتل الإبداع والتميّز، قال ابن حجر (١٣٧٩هـ، ج١٣: ص٣٥٤): "**التقليد لا يفيد العلم**"؛ لأنّه يُحوّل أفكار الرجال وآرائهم إلى مُسَلّمات يَقينيّة لا مجال لنقدها أو تقييم مُدْخلاتها وعملياتها ومخرجاتها على أساس النص المؤسِس، ويُقدمها في كثير من الأحيان على النص ويُجعلها الوسيلة الوحيدة لفهمه وإدراك مقتضياته؛ ما يسهم بإخراج جيل مُكرر الفكر المستهلك الذي لا يمتلك مُقومات الحياة والتفاعل الحضاري؛ فترتد نتائج ذلك السلبيّة على المجتمع انغلاقاً، وخلافاتٍ وتَحزّباتٍ وتناقضات وتناحرٍ مربك ومهلك يجرّ الأمة تجاه الانعدام الفكري؛ فالغياب الحضاري. ويعدّ من الضروري التمييز بين مصطلحي الإتباع والاقتداء وبين مُصطلحي التبعيّة والتقليد؛ ضبطاً للعمليّات الفكريّة وتوجيهاً لمخرجاتها نحو الحقّ، فمصطلحي الإتّباع والاقتداء يقصد بهما: "**تقديم النصوص على آراء الرجال وتحكيم الكتاب والسنّة في كل ما تنازع فيه العلماء**" (ابن القيم،١٩٧٣، ج٢: ص٢٦٨)؛ ما يسهم بإخراج جيل يقف وقوفاً مُهتدياً خلف النص المقدّس وأمام الإنتاج البشري؛ ليخضعه إلى مَفْرزة العقل والتمحيص لتبقى معاصرتنا أصيلة وأصالتنا معاصرة، بينما يشير مصطلحا التبعيّة والتقليد إلى: "**الزهد في النصوص، والاستغناء عنها بآراء الرجال وتقديمها عليها، والإنكار على من جعل كتاب الله وسنّة رسوله وأقوال الصحابة نصب عينيه؛ فبطلان ذلك منْ لوازم الشرع، ولا يتمّ الدين إلا بإنكاره وإبطاله**" (ابن القيم، ١٩٧٣، ج٢: ص٢٦٨)، فمصطلحا التبعية والتقليد يقومان على الإنكار الفعلي للنص المقدّس وإنْ لم يُصرّحا بذلك قولاً؛ وذلك بجعل أفكار الرجال وآراءهم معياراً رئيساً لفهم النص وتطبيقه وربما تقييمه، وجعلها السبيل الوحيد للوصول إلى النص والتعامل معه؛ فينعدم بذلك الاستقلال العقلي ويتكرر الإنتاج الفكري، وتروج ثقافة" قال، قالوا"، ويقتل الإبداع والتَميّز والتجديد؛ بحجة الابتداع ومخالفة سلف الأمة؛ فتنعدم ثقة الشخصيّات المتفقهة بالعمل والإنتاج؛ فَتَتقوقع حول ذاتها؛ فلا تَقْبل هي بذاتها ولا بالمجتمع وبالمقابل مجتمع التبعيّة والتقليد لا يقبلها ويقصي أدوارها البنائيّة، فالسبيل الوحيد للخروج من قيد التبعيّة والتقليد استبدالهما بمصطلحي الإتّباع والاقتداء، وترك العقول تعمل باستقلاليّة تامة دونما ضوابط ومحددات إلاّ ضوابط النص الدافعة للتفاعل الحكيم مع كلّ الإنتاج البشري وصولاً إلى مرحلة من التميّز والإبداع تحقق غاية الاستخلاف الحضاري. وفي سبيل تحقيق الاستقلال العملي الإنتاجي؛ ربط الفقه الإسلامي بين الاستقلاليّة والمال وعدّ توافر المال شرطاً من شروط استقلاليّة الشخصيّة ومُتَمِماتها، قال ابن تيمية (د.ت-ب، ج٢٩: ص٢٨٠): "**الاستغناء عن الناس؛ لا يُتَمم إلاّ بالمال، وما لا يتم الواجب إلاّ به؛ فهو واجب**"، والطريق الواجب على الشخصيّة سلوكه لتحصيل المال هو احتراف العمل المنضبط بقواعد النص المؤسس، ولا يكون العمل محترفاً؛ إلاّ بالإتقان

الـذي هـو سـبب تحقيـق الأجـر والأجـرة اللازمـان لانفكـاك الشخصـيّة عـن إطـار التبعيّـة الاقتصـاديّة المفضي إلى التبعيّة الفكريّة، قال المناوي (١٣٥٦هـ، ج٤: ص٥٤٤): "**الحِـرَفُ والصـنائع غيـر الدينيّـة زيـادة فـي فضـل أهـل الفضـل؛ لحصـول مزيـد التواضـع، والاسـتغناء عـن الغيـر، وكسـب الحـلال الخـالي عـنْ المنّـة، وقـد كـانَ كثيـرٌ مـنْ الأنبيـاء يزاولـون الأعمـال؛ فـآدم الزراعـة، ونـوح التجـارة، وداود الحدادة، وموسى الكتابة كانَ يكتب التوراة بيـده، وكـل منهم قـد رعـى الغنـم**"، فالأنبياء عليهم السـلام أكثـر الشخصـيّات تقـبّلاً لـذواتهم الشـريفة الطاهرة كانت لهم أعمالهم المستقلّة التي يَعْتاشون منها وتُغنيهم عنْ طلب الناس؛ لتبقى قدراتهم الفاعلة على التأثير وإحداث التقبّل لصالح المنهج في أعلى درجات الإتقان دون أنْ تُضعفها ولو افتراضاً غير واقع الحاجة الاقتصاديّة، وفي ذات ذلك دعوة عمليّة لإتباع نماذج الأسوة الحسنة والقدوة الكاملة فيهم عليهم السلام واحتراف العمل؛ وصولاً إلى مرحلة الاستقلال العلمي الإنتاجي التي تُنتج مع مخرجاتها تقبّلاً ذاتيّاً وخارجيّاً، بينما العطالة والبطالة تفقد الشخصيّة الفرص الحقيقيّة للتقبّل الذاتي والخارجي وتجعلها مُعرّضة وبطريقة مباشرة للتبعيّة الاقتصاديّة فالفكريّة، قال المناوي (١٣٥٦هـ، ج٢: ص٢٩٣): "**مـنْ تعطّـل وتبطّـل؛ انسـلخ مـن الإنسـانيّة، بـلْ مـن الحيوانيّـة، وصـار مـنْ جـنس الموتى**"، فجامع التشبيه بين العاطل عن العمل بإرادته وبين الميّت هو الرقود والركود وعدم العمل الحقيقي والإنتاجيّة، والمعنى المتضمن في التشبيه هو أنّ الحياة لا تتم إلاّ بالعمل والإنتاج، والفرد الذي لا عملَ له يحترفه ويثبت ذاته ودوره المتميّز منْ خلاله يكون زائداً على الحياة. ويعتمد الفقه الإسلامي مجموعة من الإجراءات الوسائلية؛ لتحقيق أهداف وقيم الاستقلاليّة الفكريّة والعمليّة الإنتاجيّة، مِنْها الدعوة إلى ضرورة فك الحماية الزائدة عن الطفل بإدخاله بتجارب استقلاليّة تتناسب ونضـجه العقلـي والبـدني؛ ليحصـد نتـائج تجاربـه الاستقلاليّة الايجابيّة؛ وليتجنّب نكوصات الفشل التي قد تُطيل من زمن اعتماده على الآخرين، ومن ذلك ما رواه ثابت عن أنس قال: "**أتى عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم وأنا ألعب مع الغلمان، قال: فسلم علينا، فبعثني إلى حاجة فأبطأت على أمّي، فلما جئت قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلّم لحاجة، قالت: ما حاجته؟ قلت: إنّها سرّ، قالت: لا تُحدثنّ بسرّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم أحداً، قال أنس: والله لو حدثتُ به أحداً لحدثتك يا ثابت**" (مسلم، د.ت، رقـم الحـديث: ٢٤٨٢)، فالظـاهر مـن الحـديث أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم اختار أنس بن مالك من بين مجموعة من الغلمان؛ لأنّه كانَ يتشرّف بخدمة الرسول صلى الله عليه وسلّم؛ ولأنّ المهمة الموكلة إليه تتناسـب ومسـتوى نضـجه العقلـي والبـدني، والواضـح كذلك أنّ سن أنس بن مالك الصغير لم يثني رسول الله صلى الله عليه وسلّم من الاعتماد عليه في قضاء بعض شأنه، ولما قضى أنس حاجة رسول الله صلى الله عليه وسلّم على أكمل وجه يرضي الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلّم كان قد تأخّر عن المنزل، وفي فعل أم أنس رضي الله عنها وسؤالها لأنس عن سبب تأخره دليلٌ على ضرورة إخضاع الأبناء لمراقبة ايجابيّة من غير

أنْ تصل هذه المراقبة إلى درجة الحماية الزائدة التي قد تحدّ من حريّة الطفل واستقلاليّته وتضعف من شخصيّته وقدراته أمام ذاته وأمام رفقائه، ولما أخبرها أنس رضي الله عنه بالسبب الكامن وراء تأخره وامتنع في ذات الوقت عن إخبارها عن نوع المهمة التي قضاها لرسول الله صلى الله عليه وسلّم؛ لأنّها سر من أسرار رسول الله صلى الله عليه وسلّم، احترمت رغبته واستقلاليّة شخصيّته، وتربيةً له على قيم الاستقلاليّة وحتى تصبح ديدنه المستقبلي، قالت: "**لا تُحدثنّ بسرّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم أحداً** "، وعلى الأكيد أنّه رضي الله عنه لمْ يفعل لقفل كلامه بقوله: "**والله لو حدثتُ به أحداً لحدثتك يا ثابت**"، فالاستقلاليّة سلوكٌ مكتسب تسهم البيئة المحيطة بإكسابه الطفلَ حتى يصبح ذلك سِمته المستقبليّة الراسخة المميزة لجميع أنماطه السلوكيّة. وقد رغّب الرسول صلى الله عليه وسلّم الشخصيّة بسلوك مبادئ الاستقلاليّة والاعتماد على الذات، عندما جَعل الجنّةَ جزاءً لمنْ يعتمد على ذاته في تصريف غالبية شئونه وتلبية حاجاته، فقال صلى الله عليه وسلّم: "**منْ تَكفّل لي أنْ لا يسأل الناس شيئاً؛ وأتكفّل له بالجنّة، فقال ثوبان: أنا، فكان لا يسأل أحداً شيئاً**" (أبو داوود، د.ت، رقم الحديث: ١٦٤٣)، وكلمة "شيئاً" الواردة في الحديث تُفيد الأغلبيّة؛ فالإنسان لا يَستطيع الانفراد بتلبية جميع حاجاته ومتطلباته دونما مُعاونة الآخرين ومساعدتهم؛ لأنّه لا يعيش في وسط مُفْرغ خالٍ عن العلاقات الترابطيّة التعاونيّة؛ لذلك فقيم الجزاء الدنيوي والأخروي مقرونة لحدّ كبير برجحان قيم ومبادئ الاستقلاليّة والإنتاج والعطاء على ممارسات الاتكال والاستهلاك والأخذ رجحاناً واضحاً في جميع الحلقات الفرديّة والجماعيّة؛ تَثبيتاً للدور الحضاري؛ وتحقيقاً لمعاني الخيريّة الذاتيّة والمجتمعيّة. كما وحذّر الرسول الله صلى الله عليه وسلّم من شخصيّة الإمّعة التي تأتي أفعالها السلوكيّة كردّات فعل لسلوكات الآخرين وأفعالهم الايجابيّة منها والسلبيّة، دونما أيّة مبادرة استباقيّة أو تأثير ايجابي في مُجريات الأحداث ونتائجها يُنْبيكَ عنْ دورها ووجودها؛ فتكاثر شخصيّات الإمعة في المجتمع يقتل روح الإبداع والمبادرة فيه ويجعله عُرْضةً للاستلاب والتبعيّة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "**لا تكونوا إمعة، تقولون: إنْ أحسنَ الناسُ أحسنّا، وإنْ ظلموا ظلمنا، ولكنْ وطّنوا أنفسكم، إنْ أحسنَ الناس أنْ تحسنوا، وإنْ أساءوا فلا تظلموا**" (الترمذي، د.ت، رقم الحديث: ٢٠٠٧)، وكثيرة هي المواقف التي أستخدم الرسول صلى الله عليه وسلّم فيها أساليب الحثّ السلوكي وأساليب التربيّة العمليّة وأساليب القدوة وتفعيل دور النموذج في ترسيخ ثقافة الاستقلال والاعتماد على الذات بين ظهراني الصحابة رضوان الله عليهم وخاصة في المجالات العمليّة الإنتاجيّة، ومن ذلك ما رواه أنس بن مالك: "**أنّ رجلاً من الأنصار أتى النبي صلى الله عليه وسلّم؛ يسأله، فقال: أما في بيتك شيء؟، قال: بلى حِلسٌ نلبسُ بعضه، ونبسط بعضه، وقعبٌ نشرب فيه من الماء، قال: ائتني بهما، قال: فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلّم بيده، وقال: من يشتري هذين؟ قال رجل: أنا آخذهما بدرهم، قال: من يزيد على درهم؟ مرتين أو ثلاثاً، قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين،**

فأعطاهما إيّاه وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاريّ، وقال: اشترِ بأحدهما طعاماً؛ فانبذه إلى أهلك، واشترِ بالآخر قُدّوماً فأتني به، فأتاه به فشدّ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلّم عوداً بيده، ثمّ قال له: اذهبْ فاحتطب وبعْ ولا أرينّك خمسة عشر يوماً، فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إنّ المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع" (أبو داوود، د.ت، رقم الحديث: ١٦٤١)، فأمام مجموع الصحابة الحضور علّم الرسول صلى الله عليه وسلّم الرجل الأنصاريّ عمليّاً أنّ أوّل خطوات حلّ الأزمات داخليّة فكل أزمة تحمل في ذاتها طرق حلها وعلاجها؛ لذلك سأل الرسول صلى الله عليه وسلّم الرجل الأنصاريّ (**ما في بيتك؟**)؛ حشداً للإمكانات ومقومات حلّ المشكلة؛ لإدارتها وفق القدرات المتاحة؛ فكانت حصيلة هذه العمليّة درهمين شَكّلا مُنطلقاً لحلّ المشكلة عمليّاً، وعلى صاحب المشكلة مباشرة حلّ مشكلته بنفسه رفعاً لآلامها وآثارها السلبيّة عنْ محيطه، وَندْباً عمليّاً للمحيطين لنصرته ومساعدته (**فأعطاهما الأنصاريّ**)، ويجبْ على صاحب المشكلة كذلك الاعتقاد بأنّ أزمته إلى زوال بإذن الله تعالى فهي حالة طارئة على الوضع العام؛ فالاندفاع السلبي غير المدروس في محاولة علاجها وحلّها على حساب تلبية الحاجات الفسيولوجيّة الرئيسة قد يزيد المشكلة تعقيداً وانشطاراً تكاثرياً (**اشترِ بأحدهما طعاماً؛ فانبذه إلى أهلك**)، ولا ضير من الاستعانة بأصحاب الخبرات والمهارات؛ لوضع خُطّة علاج تتضمن خُطوات الحلّ وإجراءاته العمليّة المتبعة (**واشترِ بالآخر قُدّوماً فأتني به، فأتاه به، فشدّ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلّم عوداً بيده، ثمّ قال له: اذهبْ فاحتطب وبعْ**)، ويجبْ عدم إغفال البعد الزمني عند وضع خطة العلاج وعند تنفيذ إجراءاتها بحيث يتناسب الزمن وحجم السلوك الإجرائي المزمع تحقيقه، فعلى أساس هذا التناسب يتمّ محاكمة نتائج الحلّ ومخرجاته (**ولا أرينّك خمسة عشر يوماً**)، كما وأنّ نجاح خُطة التنفيذ مرهون ببذل غاية الجهد والوسع؛ بغية تحويل المخطط النظري إلى إجراءات سلوكيّة عمليّة تتناسب وزمن التنفيذ المتاح (**فذهب الرجل يحتطب ويبيع**)، ومن الضروري تدبير نتائج الحلّ ومخرجاته الايجابيّة وفق خُطّة العلاج؛ خوفاً من عودة المشكلة مرّة أخرى أو ظهور مشكلات جديدة تعيد الوضع إلى ما كان عليه من التردّي (**فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً**)، والواضح أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم وضع للرجل الأنصاريّ خُطّةً لحلّ المشكلة ورسم له إجراءات تنفيذها، فقام الرجل الأنصاريّ بتنفيذها وفق الإجراءات المرسومة له مُعْتمداً بذلك على نفسه إلى درجة كبيرة، وبعد أنْ حصد عمليّاً النتائج الايجابيّة للاستقلاليّة والاعتماد على الذات، اخبره الرسول صلى الله عليه وسلّم أنّ مكمن الخيريّة في الاستقلاليّة والاستغناء عن الناس، فقال: "**هذا خير لك منْ أنْ تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة**"، فاختتام الموقف التعليمي بهذا المقطع الحديثي له كامل التأثير في ذات الرجل الأنصاريّ؛ لأنّه أدرك عمليّاً قيمة

الاستقلاليّة والاعتماد على الذات، بينما لو افتتح الرسول صلى الله عليه وسلّم الموقف التعليمي بهذا المقطع الحديثي عندما جاءه الأنصاري طالباً وسائلاً أول مرّة لربما ظنّ الأنصاريّ أنّهم يمتنعون عن مساعدته، وأنّه عنصرٌ غير متقبّل في إطار الجماعة؛ ما قدْ ينتج عنه سلوكٌ مضادٌ من عدم التقبّل.

تتميز الشخصيّة الاستقلاليّة بقدرتها الفاعلة على تدبير شئونها وفق قدراتها وإمكاناتها المتاحة بسرعة وانجاز وإتقان دونما انتظار طويل للحلول الخارجيّة، وذلك لامتلاكها مخزوناً من الحلول وإجراءات العلاج يدفعها لتلبية حاجاتها ومتطلباتها بطريقة ذاتيّة مستقلّة؛ ما يولّد لديها حالة من تقبّل الذات والثقة بقدرتها على التفاعل المهتدي مع حركة الحياة المتنوّعة، دون تكليف المحيطين تبعات هذا التفاعل؛ لاستقلاليّتها واعتمادها على ذاتها؛ ما يُنتج قبولاً اجتماعيّاً لذاتها ولأدوارها الحركيّة الإنتاجيّة ويجعلها موضع النمذجة والتنزيل الاجتماعي، فقد جاء رجل إلى الرسول صلى الله عليه وسلّم: "**فقال يا رسول الله: دُلني على عمل إذا عملته أحبّني الله وأحبّني النّاس، قال: ازهدْ في الدنيا؛ يحبّك الله، وازهد فيما عند النّاس؛ يحبّك النّاس**" (البيهقي، ١٤١٠هـ، رقم الحديث: ١٠٥٢٣)، فقطع الحظّ بما عند النّاس يولّد حالة دافعة للتقبّل والتفاعل الاجتماعي؛ لعدم وجود أيّة تكلفة وتبعات مُخسّرة للتفاعل مع الشخصيّات المستقلّة.

المبحث السادس: التحرر من عقدة الذنب والمخاوف الكبرى:

تَقْترف الشخصيّة في حركاتها التفاعليّة مع الحياة الأخطاء والذنوب، ولعلّ هذا سلوك انتقل بالوراثة منْ آدم وزوجه عليهما السلام إلى ذريّتهما؛ فأصبح سمةً دارجةً في البشريّةِ، إلاّ من استثناه الله تعالى من الأنبياء والرسل عليه السلام بالعصمة والحفظ، فآدم وزوجه مع وجود التحذير المباشر من الله تعالى لهما بعدم الأكل من الشجرة ومع توافر البيئة المساعدة على الطاعة والالتزام إلاّ أنّهما ذاقا الشجرة؛ فعاقبهما الله تعالى على ذنبهما البشري الأوّل بإخراجهما من الجنّة واهباطهما إلى الأرض مشفوعاً ذلك بقبول توبتهما واستغفارهما، قال تعالى: ﴿**وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ. فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ.فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾[البقرة: ٣٥:٣٦:٣٧]. يُقعّد المنهج إجرائياً لعمليّات التحرر البشريّ من عقدة الذنب وفق مجموعة إجراءات؛ تتمثل بوجوب الإيمان بأنّ الله تعالى يقبل التوبة عن عبادة كنتيجة نهائية غائيّة معلومة قبل مباشرة سلوك التوبة؛ فالعلم اليقيني بمخرجات ونتائج سلوك التوبة يُعدّ محفزاً لإتيانه ومباشرته على نهج النص المقدّس؛ وصولاً للنتائج النهائيّة المتعاقد عليها تَفضلاً من الله تعالى، قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾[الشورى: ٢٥]، وجاءت جملتا "**يقبل**" و"**يعفو**" فِعْليتين؛ لتفيدا الاستمراريّة والتجدد، **فالله تعالى "يقبلُ التوبة في المستقبلِ، ويعفو عن السيئاتِ في الماضي**" (ابن كثير، ١٤٠١هـ، ج٤: ص١٤٦)، وفي ذلك "**تَهْيِيج إلى التوبة_في كل**

ظروف الزمن؛ فكلّ من تاب إليه تاب عليه" (ابن كثير، ١٤٠١هـ، ج٢: ص٥٠٨)، فعمليّات التحرر من عقدة الذنب عمليّات مستمرة باستمراريّة وتجدد عمليّات التوبة والإنابة إلى الله تعالى، ويجبْ كذلك الإيمان بأنّ عمليّات التحرر من عقدة الذنب تشمل كلّ الذنوب بلا استثناء إلاّ الشرك بالله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾[النساء: ١١٦]، أمّا فيما يخص القتل العمد فالآراء الفقهيّة فيه على قولين رئيسين؛ الأوّل: قبول توبة قاتل العمد، والثاني: ردّها وخلوده في النار، ويعدّ استغراق عمليّات التحرر لكل ذنوب الشخصيّة صغيرها وكبيرها وعظيمها ولَمَمِهَا قبولاً شرعيّاً لكل الشخصيّة في إطار المنهج؛ ليتمّ تطهيرها وتخليصها من عقدة الذنب غير الممكن التحرر منه على الديمومة؛ الذي قدْ يدفع بالشخصيّة للتمادي بالغيّ؛ لعدم القدرة على التخلّص من عقدة ذلك الذنب المؤلمة؛ كما ويورث حمل الأوزار والذنوب على الأبديّة الشخصيّة كامل القلق والاضطراب، ويصبغها بالسلبيّة الذاتيّة والمجتمعيّة. وتعدّ كذلك عمليّات التحرر من عقدة الذنب عمليّات مفتوحة نهايتها الغرغرة فالموت، قال صلى الله عليه وسلّم: "**إنّ الله ليقبل توبة العبد ما لمْ يُغرغِر**" (البيهقي، ١٤١٠هـ، رقم الحديث: ٧٠٦٣)، فتسويف التوبة غير مقصود بالحديث؛ لأنّ الواجب مباشرة عمليّات التحرر من الذنب دونما تسويف ووفق المنهج المعتمد؛ لتنعم الشخصيّة بثمار التقبّل استقراراً وطمأنينةً دافعةً للايجابيّة والعمل والإنتاج التنافسي. كما وتُعيد عمليّات التحرر منْ عقدة الذنب الشخصيّة إلى نقطة البراء الأولى التي كانت عليها قبل اقتراف الذنب دونما عوالق باقية ومؤثرة؛ ليشكل ذلك مُدْخلاً مُعيناً للشخصيّة على ممارسة الأنماط السلوكيّة الايجابيّة الجديدة بمعزل تام عن التقييم السابق للذنب الذي تمّ التحرر منه؛ فعمليّات التقييم الجديدة تستند إلى حاضر الأنماط السلوكيّة دونما تراكميّة تُرْفع فوق سيئات الذنب السابق الذي تمّ التحرر منه، قال صلى الله عليه وسلّم: "**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**" (ابن ماجه، د.ت، رقم الحديث: ٤٢٥٠)، وهذا يختص بالذنوب التي تتعلّق بحقّ الله تعالى، أمّا الذنوب التي تتعلّق بحقّ العباد فلا يتم التحرر منها إلاّ بردّ الحقوق والمظالم إلى أصحابها مشفوعة بالندم والتوبة والاستغفار والدعاء؛ فشروط التوبة النصوح تتمثل: "**بالندم والعزم على عدم العود وردّ المظلمة**" (ابن حجر، ١٣٧٩هـ، ج١١: ص١٠٣)، كما ويعدّ إنزال العقوبة الشرعيّة المقدّرة بالمذنب تحريراً له منْ عقدة ذلك الذنب دنيويّاً وأخرويّاً، فقد قال صلى الله عليه وسلّم في حقّ ماعز بن مالك رضي الله عنه عندما رُجِم حَدّاً للزنا: "**استغفروا لماعز بن مالك، فقالوا: يغفر الله لماعز بن مالك، فقال النبي صلى الله عليه وسلّم: لقدْ تاب توبةً لو قُسّمت بين أمّة لوسعتها**" (الدارقطني، ١٩٦٦، رقم الحديث: ٣٩)، فالعقوبة الشرعيّة تتميز بأنّها: زاجرة وجابرة، فزاجرة لأنّها من المفترض أنْ تردع فاعلها والآخرين عن الوقوع في ذات الخطأ مرّة أخرى، وجابرة لأنّ تطبيقها الدنيوي يسقط تبعاتها الأخرويّة ويحرر فاعلها منْ عقدة الذنب وتبرماته المفضية إلى القلق والاضطراب والسلبيّة. ويحرر المنهج كذلك الشخصية من المخاوف الكبرى على الأجل والرزق

ومصائب الحركة الحياتيّة؛ فهذه القضايا كلها منطلقاً ونتائجاً بيد الله تعالى، ولا دخل للإنسان فيها إلاّ من جهة الحركة الوسائليّة، قال صلى الله عليه وسلّم: "**خلقَ الله كلّ نفس فكتب حياتها ومصيباتها ورزقها**" (ابن حنبل، د.ت، رقم الحديث: ٤١٩٨)، فما على الشخصيّة إلاّ التقبّل الإيماني الكامل بمخرجات هذه القضايا على المستويات الذاتيّة والخارجيّة تقبّلاً يتولّد عنه طمأنينة واستقرارٌ نفسيٌّ دافعٌ للتفاعل النشط المنْتج مع كلّ مجريات الحياة.

يُعلن المنهج دعوته العمليّة لتحرير الشخصيّة من عقدة الذنب وقبولها ضمن إطار المنهج، وما على الشخصيّة المقترفة للذنب إلاّ القبول بهذه الدعوة والشروع بتطبيقها وفق إجراءات المنهج المعتمدة؛ وصولاً إلى نقطة التقبّل والتصالح مع الذات التي كانت عليها الشخصيّة قبل اقتراف الذنب، ويجبْ على المجتمع تقبّل الشخصيّة التي يتمّ تحريرها من عقدة الذنب ضمن النسق المجتمعي؛ لأنّها شخصيّة متوافقة تنْعم بدرجة عالية من تقبّل الذات والاستقرار والطمأنينة المصاحبة لذلك؛ ولأنّ رفضها يُعدّ مخالفةً صريحةً لتعليمات المنهج المتَبَنّى اجتماعيّاً.

الخاتمة:

تُلبّي الشخصيّة حاجتها إلى تقبّل الذات؛ بتحقيقها عمليّا وإجرائيّاً لمجموعة من المقوّمات السلوكيّة، والتي يُمكن ذكر بعضها بالآتي:

١- الاستثمار الحسن للقدرات والإمكانات الفرديّة من غير تقصير ولا تقاعس؛ زيادةً لفرص النجاح وتجنّباً لآثار الفشل التي قدْ تُدخلها في إطار الانسحاب الاجتماعي والانطواء والقلق والاضطراب.

٢- رَفْضُ إجراءات التهميش وعدم التقبّل التي قدْ تمارس ضدّها لأسباب غير منهجيّة، وعدم الرضا إلاّ بتفعيل مبدأ التشاركيّة وتكامل الأدوار الذي يعترف بها كياناً ودوراً وشريكاً فاعلاً في منظومة العمل المجتمعي التراكمي وفق الإمكانات والقدرات الفرديّة.

٣- الانخراط في نظام صداقات مهتدي؛ يرفع من درجة تقبّلها لذاتها ويُبصّرها بقيمة دورها في الجماعة والمجتمع.

٤- التواصل الانفعالي الاجتماعي السلوكي الايجابي المضبوط بقيم النص والمتوازن والمجرّد عن المنافع والغايات الماديّة اللحظيّة الضيّقة.

٥- الاستقلاليّة في تدبير الشئون وقضاء المصالح وفق القدرات والإمكانات المتاحة بسرعة وإتقان دُونما انتظار طويل للحلول الخارجيّة.

٦- التحرر السريع ووفق إجراءات المنهج المعتمد من المخاوف الكبرى وعقد الذنوب التي يمكن أنْ تَقْترفها أثناء الحركة الحياتيّة؛ تدعيماً لفرص تقبّل الذات والتصالح الحقيقي المنْتِج معها.

التوصيات:

١- توصي الدراسة مُؤسستي الأسرة والمدرسة بضرورة تنمية قدرات الأطفال تنمية عمليّة شاملة وفق قدراتهم وإمكاناتهم، وبضرورة تفعيل مبدأ التشاركيّة التكامليّة أثناء تنفيذ المهمات التعليميّة والتربويّة، وتوصيهما كذلك بضرورة حثّ الأطفال للدخول بنظام صداقات متكافئ دافع للتواصل الاجتماعي المهتدي، وبضرورة تعويدهم على

تفعيل مبدأ الاستقلاليّة وفق منهج عملي متدرج يراعي القدرات العقليّة والبدنيّة، وتؤكد أنّ من واجباتهما كذلك تعويد الأطفال على تفعيل مبدأ الاعتذار والتراجع عن الخطأ؛ لأنّ كل ذلك يُكسب الأطفال عمليّاً مقومات تقبّل الذات وصولاً بهم إلى فقه الطمأنينة والاستقرار والتكيّف المهتدي المُنْتج المضبوط بمتطلبات النص المؤسس.

٢- توصي الدراسة القائمين على العمليّة التربويّة بضرورة عَصْرنة الفقه الإسلامي بإدخاله إلى المؤسسة التربويّة المعاصرة كأصل ووسيلة وغاية.

٣- توصي الدراسة الباحثين بالاهتمام بالدراسات التربويّة الفقهيّة التأصيليّة بُغية صياغة نظريّة تربويّة إسلاميّة معاصرة قائمة على عمليات الفقه والتفقّه.

المصادر:

١. **القرآن الكريم**.

٢. ابن أبي شيبة، عبد الله، (١٤٠٩هـ). المصنف في الأحاديث والآثار، ط١، الرياض: مكتبة الرشد.

٣. ابن الصلاح، عثمان، (١٤٠٧هـ). أدب المفتي والمستفتي، ط١، بيروت: مكتبة العلوم والحكم.

٤. ابن القيم، محمد، (١٩٨٦ – أ). الأمثال في القرآن الكريم، ط١، طنطا: مكتبة الصحابة.

٥. ابن القيم، محمد، (١٩٨٦ – ب). زاد المعاد في هدي خير العباد، ط١٤، بيروت؛ الكويت: مؤسسة الرسالة؛ مكتبة المنار الإسلامية.

٦. ابن القيم، محمد، (١٩٧٣). إعلام الموقعين عن رب العالمين، بيروت: دار الجيل.

٧. ابن تيمية، احمد، (١٤٠٣هـ).الاستقامة، ط١، المدينة المنورة: جامعة الإمام محمد بن سعود.

٨. ابن تيمية، احمد، (د.ت– أ). كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه، ط٢، مكتبة ابن تيمية.

٩. ابن تيمية، أحمد، (د. ت – ب). مجموع الفتاوى، الرياض: مطابع الرياض.

١٠. ابن حجر، أحمد، (١٣٧٩هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار المعرفة.

١١. ابن حزم، علي، (١٩٧٩). الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ط٢، بيروت: دار الآفاق الجديدة.

١٢. ن حنبل، أحمد، (د.ت). المسند، القاهرة: مؤسسة قرطبة.

١٣. ابن عبد البر، يوسف، (٢٠٠٠). الاستذكار، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

١٤. ابن كثير، إسماعيل، (١٤٠١هـ). تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار الفكر.

١٥. ابن ماجه، محمد، (د.ت). سنن ابن ماجه، بيروت: دار الفكر.

١٦. أبو داود، سليمان، (د.ت). سنن أبي داود، دار الفكر.

١٧. أبو نعيم، أحمد، (١٤٠٥هـ). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط٤، بيروت: دار الكتاب العربي.

١٨. الألباني، محمد ناصر الدين، (د.ت). السلسلة الضعيفة، الرياض: مكتبة المعارف.

١٩. البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٩٨٧). الجامع الصحيح، ط٣، بيروت: دار ابن كثير؛ اليمامة.

٢٠. البيهقي، أحمد، (١٤١٠هـ). شعب الإيمان، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.
٢١. الترمذي، محمد، (د.ت). الجامع الصحيح سنن الترمذي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٢٢. الحاكم، محمد، (١٩٩٠). المستدرك على الصحيحين، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.
٢٣. الدارقطني، علي، (١٩٦٦). سنن الدارقطني، بيروت: دار المعرفة.
٢٤. السلمي، أبو عبد الرحمن، (١٩٩٠). آداب الصحبة، ط١، طنطا: دار الصحابة للتراث.
٢٥. الشربيني، محمد الخطيب، (١٤١٥هـ). الإقناع، بيروت: دار الفكر.
٢٦. الشوكاني، محمد، (١٩٧٣). نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، بيروت: دار الجيل.
٢٧. الغزالي، محمد بن محمد، (د.ت). إحياء علوم الدين، بيروت: دار المعرفة.
٢٨. القشيري، مسلم، (د.ت). صحيح مسلم، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٢٩. المباركفوري، محمد، (د.ت). تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، بيروت: دار الكتب العلمية.
٣٠. المقدسي، محمد بن مفلح، (١٤١٧هـ). الآداب الشرعية، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة.
٣١. المناوي، عبد الرؤوف، (١٣٥٦هـ). فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط١، مصر: المكتبة التجارية الكبرى.
٣٢. النفراوي، احمد بن غنيم، (١٤١٥هـ).الفواكه الدواني، بيروت: دار الفكر.
٣٣. النووي، يحيى بن شرف، (١٣٩٢هـ). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

The Constituents of Self-acceptance in the Islamic Jurisprudence

R. G. R. Al-Amrat[1] and M. G. R. Al-Amrat[2]
Department of Islamic Studies - Yarmouk University - Jordan[1]
Faculty of Education - Jadara University-Jordan[2]

Abstract

This study aims at answering the main question: What are the constituents of self-acceptance in the Islamic jurisprudence? This study proves systematically that the character meets the needs to accept the self by acquiring and activating many behavioral factors, such as the good investment of the individual capacities, the participatory process, the integration of constructive and defense roles, activating and developing the friendship, expressing the proper emotions, independence and self-reliance, and freedom from guilt complex and major concerns. Activating these constituents repeatedly according to the crystal-clear evidence makes the character realizes the value of the self and its role.

Keywords: Self-acceptance, Capacity Investment, Participatory, Emotional Expressions, Self-Reliance.